يوميات المهرجان

الدورة 23 من مهرجان تطوان الدولي للسينما المتوسطية

العدد 6

الجمعة 31 مارس 2017

أفكار ومقاربات بلا حدود في «ندوة الحدود» بمهرجان تطوان

الهجرة والعلاقة بالآخر، والحدود بين الواقع والتخييل والحقيقة والكذب، مواضيع يبدو أنها تفرض نفسها كلما طرح على طاولة النقاش موضوع الحدود، بالمعنى الواسع للكلمة. لم تشذ الجلسة الأولى من ندوة «عندما تخترق السينما الحدود التي يضعها الإنسان»، التي انعقدت صباح أمس بالمركز الثقافي «دار الثقافة» عن هذه القاعدة. وكما يقول ذلك الجاحظ في عبارته الشهيرة، إن المعاني مطروحة في الطريق، والعبرة في طريقة التناول، فقد تناول المتدخلون قضية الحدود من زوايا نظر مختلفة، وحاولوا التوقف عند حضور موضوعة الحدود في السينما المتوسطية عموما. وفي هذا الصدد، أكد الناقد الفرنسي فرانسوا جوست أن رسم الحدود بين الواقع والخيال ليس أمرا هينا، كما قد يظن البعض، ومن ثم دعوته إلى إعادة النظر في تصورنا للعلاقة بين هذين العالمين، خاصة مع انتشار وسائط التواصل الحديثة. ويستحثنا المتحدث على التفكير مليا أيضا في دلالات هذا الحقل الدلالي المتداخل الذي يضم مفردات الكذب والحقيقة والوهم والمحاكاة والتمويه والخطأ، رافضا في الوقت نفسه طرح المسألة من منظور مانوي، حيث يتقابل من جهة الأخيار الطيبون، وهم المواطنون، ومن جهة ثانية، الأشرار ممثلون في وسائل الإعلام، ففي كثير من الأحيان، تروج أخبار زائفة يكون وراءها المواطن نفسه. تبدو الحاجة إذن ماسة إلى تربية على وسائل الإعلام وعلى مختلف الوسائط، ومن بين المداخل الممكنة، عدم الاقتصار على تحليل الصورة في ذاتها، بل البحث عن مصدرها وتبين مصداقيته. واستهلت السينمائية والروائية ليانة بدر عرضها بالقول إن مفردة الحدود ترتبط لديها، هي الفلسطينية الأصل، بإيحاءات ومعان خاصة. وهي تفضل الانطلاق من حياتها اليومية ومن تجربتها المهنية لطرح مسألة الحدود، وللتساؤل حول مفهومها. وتلاحظ المتحدثة أن العدو هو الذي يرسم الحدود في فلسطين المحتلة. وعزاؤها، وعزاؤنا نحن أيضا، كما تقول، هو أن السينما، كمرادف للحرية، تدمر الحدود، أيا كانت. من هنا لقطة دالة في أحد أفلامها: تنظيم حفل زفاف في أحد المعابر التي يحرسها جنود مدججون بالأسلحة. من جانبه، تساءل الناقد السينمائي أمير العمري عن مفهوم السينما المتوسطية نفسه، فهو بالنسبة إليه مفهوم ملتبس، قد يدفع إلى التساؤل إن كانت السينما المتوسطية توجد حقا. مهما يكن، فإن القاسم المشترك بينها هو حضور موضوعة الهجرة. والملاحظ، كما يرى ذلك، أن جل هذه الأفلام تصدر عن رؤية الواقعية الإيطالية الجديدة (الارتجال، والفضاء المفتوح، والبعد الوثائقي..). واستشهد في هذا الصدد بمجموعة من الأفلام، بعضها عرض في هذه الدورة من مهرجان تطوان الدولي لسينما البحر الأبيض المتوسط، كفيلم «نار في البحر». ويخلص إلى القول إن الأفلام الأوروبية التي تناولت موضوع الهجرة ركزت على العالم الداخلي واستبطان الشخصيات، بينما يتم التركيز من قبل المخرجين العرب على العوامل الخارجية. أما محمد الناجي، الروائي والسوسيولوجي المغربي، فقد حرص على التنبيه أنه سيتناول الموضوع من من موقعه كمؤرخ. ولاحظ أولا الحضور الهوسي والمتكرر للحدود وصورها وتجلياتها المتعددة (الجدران والأنهار والحواجز...). وانطلاقا من حفر في ذاكرة الكلمات، يخلص إلى وجود دلالات النهاية والفصل في الألفاظ المستعملة في اللغة العربية للإحالة على الحدود.

ناقد سينمائي مغربي

حمادي كيروم

افتتاحية

الكلمة لمهنيي السينما...

نظم مهرجان تطوان الدولي لسينما بلدان البحر الأبيض المتوسط بشراكة مع الغرفة المغربية لمنتجي الأفلام ندوة حول موضوع «مرحلة الإعداد في في الإنتاج السينمائي والسمعي البصري، ضرورة التمويل وطرق العمل». موضوع يكتسي أهمية كبرى، خاصة وأنه تطرق إلى جانب من جوانب الإنتاج السينمائي والسمعي البصري لا يحظى باهتمام كبير من جل المشتغلين بالحقل السينمائي والسلطات العمومية، ناهيك عن الجمهور العريض الذي لا يعرف في أغلبه أي شيء عن هذه المرحلة من مراحل الإنتاج السينمائي. إضافة إلى حسن اختيار الموضوع، من طرف المنظمين، فإن هذا اللقاء يندرج في إطار رغبة المهرجان وإرادته في الانفتاح على كل الفاعلين في الحقل السينمائي والسمعي البصري، والمساهمة بالتالي في النقاش الدائر في بلدنا حول السينما والمجال السمعي البصري عموما، كي يتحول مهرجان تطوان الدولي إلى موعد سنوي يجمع بين المهنيين من كل التخصصات، ويشكل في نفس الوقت مدرسة لتعلم السينما والتشبع بعشقها من منطلق المعرفة الفنية. لن «يجد المخرجون أنفسهم لوحدهم في مواجهة صعوبات لا تنتهي»، كما يشير إلى ذلك نص تقديم اللقاء، بل إن المهرجان يضع رهن إشارتهم منبرا ذا مصداقية للتواصل مع جمهورهم العريض.

هنا وهناك

محمد خيي يدعو إلى مخطط لتطوير السينما المغربية

عبر الممثل المغربي محمد خيي عن سعادته بالتكريم الذي يحظى به في مهرجان تطوان. وقال خيي إن ما يتمناه هو أن تحظى السينما المغربية بمحبة الجمهور، وأن يتردد المغاربة على مشاهدة الأفلام المغربية. وهذا ما يجتهد مهرجان تطوان ويعمل من أجله، على حد قوله.

وأشار خيي إلى وجود دول استطاعت أن تقدم سينما راقية بإمكانيات بسيطة، لأن هنالك إبداعا ورؤية من أجل الرقي بالسينما والارتقاء بها، يقول خيي، الذي سيحظى بتكريم خاص في حفل اختتام هذه الدورة.

وتمنى الممثل المغربي، الذي يحظى بجماهيرية كبيرة، أن تتبنى الدولة سياسة واضحة من أجل تطوير السينما والفن بصفة عامة. وتساءل خيي: «هل لدى المسؤولين رغبة في تطوير الفن والسينما؟ وإذا ما كان لهم هذا الاختيار، فلا بد من سياسة ومن تخطيط». والحال أن هنالك مجهودات فردية ومبادرات من أجل النهوض بالسينما، في غياب عمل جماعي، يختم خيي.

السينما امرأة

ترجمان المهرجان

فرجة ممتعة

السينما المغربية تسير في طريق اليقين رغم كل شيء

. اعتمدت، منذ زمن نقدي طويل، ثنائية «السينما واللاسينما» من أجل مقاربة ماهية السينما، حسب المخرج الفرنسي روبير بروسون. فما هي حدود السينما واللاسينما الآن؟

.. نعم، سبق لي أن استعرت هذه الثنائية/ المقولة من روبير بروسون، لأنه كان قد اصطلح مفهوما جديدا هو السينماتوغرفيا، بمعنى الكتابة بكل بساطة، على أساس أن السينما فعل كتابة. وهنا يقع الفرق ما بين السمعي البصري والسينما، إذ ليس كل فيلم سينما. ولكي يصبح الفيلم سينما وجب أن تخترقه السينماتوغرفيا، أي ذلك الوعي التقني/ الجمالي. وفي الحالة المغربية، أظن أن المغرب بدأ بالسينما، وها هو ينتهي إلى السمعي البصري. ذلك أن المؤسسين الأوائل، مع أحمد البوعناني ومجيد الرشيش ثم الجيلالي فرحاتي إنما كانوا مقتنعين بأن السينما لغة وتعبير ووعي بالمجتمع. أما اليوم، فإن التقنيات الحديثة وهيمنة السرعة وتعدد الوسائط، كلها مستجدات جعلت أغلب الشباب الذي يتعاطى السينما والسمعي البصري، مع بعض الاستثناءات، يظنون أن الحامل الخفيف قادر على تصوير الواقع أو الخيال سينمائيا. ولهذا، فسوف نعاني كثيرا في المستقبل من هيمنة السمعي البصري.

. ألا تدفعنا وسائط التواصل الجديدة إلى إعادة مساءلة مفهوم السينما نفسه، وإن لم تكن السينما وسيطا من هذه الوسائط؟

.. السينما وعي وعقيدة وتصور فلسفي للأشياء والأشخاص، والفضاء، وهي لذلك ليست وسيطا. وهذا التصور الفلسفي الذي تصدر عنه السينما هو الذي يحول اللقطة بإطارها وخارج الإطار إلى إبداع سينمائي. لأن السينمائي الحقيقي هو الذي يطرح من خلال إطاره ثلاثة أسئلة فنية وأنطولوجية كبرى. يتعلق السؤال الأول بالمسافة التي أتخذها بيني وبين ما أقوم بتصويره، أكان شيئا أم شخصا أم فضاء. لأن في تحديد المسافة تحديدا لموقف فني. والسؤال الثاني عما إذا كان علي أن أملأ الإطار أم أفرغه، لأن الامتلاء والفراغ تصور بلاستيكي وفني وجمالي لما سيراه المشاهد. أما السؤال الثالث فيعنى بالعلاقة الرابطة بين هذه الأشياء التي هي داخل الإطار، أو الحقل، ومدى علاقتها بما هو خارج الحقل. وهو ما يسمى La mise-en-scène، حسب تعريف دوستويفسكي في «الجريمة والعقاب».

. أما في مقاربتك الأكاديمية لموضوع الاقتباس من المحكي إلى السينما، فقد دعوت المخرجين إلى «الخيانة»، وربما استعرت المفهوم من حقل الترجمة. كما اشتغلت ميدانيا على الموضوع من خلال إشرافك على مهرجان «سينما المؤلف» في الرباط. بأي معنى وإلى أي درجة من درجات الخيانة ينتشي المخرج؟

.. اهتمامي بموضوع الربط بين الأعمال الروائية العظمى والعمل السينمائي بدأ من خلال تنظيم ندوة «السينما والرواية» سنة 1992، بحضور صلاح أبو سيف وداود عبد السيد، وهي الندوة التي تحولت إلى «مهرجان سينما المؤلف» سنة 1995. وقد كانت محاولة لإعادة النظر من قبل المخرجين المغاربة في أهمية الشخصيات التي كانت تظهر فارغة وجوفاء، وكارطونية في بداية السينما المغربية وإلى اليوم. فشخصية أبي موسى في رواية أحمد التوفيق، وعصفه النوراني، الذي حاول المبدع محمد عبد الرحمن التازي بكل قوة وجهد أن ينقله إلى الفيلم، كان في حاجة إلى خيانة لغة الرواية، وإتقان لغة السينماتوغرافيا. والأمر نفسه وقع مع شخصيات شكسبير ودوستويفسكي... فالخيانة تبدأ عندما يتشبع المخرج بروح النص الروائي، ويحدد أفقه الحسي والجمالي والمعرفي. وآنذاك يبحث عن الوعاء التعبيري السينمائي. لأن الخطأ يكمن في وهم النقل المباشر من اللغة اللفظية إلى اللغة البصرية.

. لم نعد أمام ثنائية سينما تجارية في مقابل سينما المؤلف، بقدر ما صرنا أمام «سينما الموضة»، من حيث الموضوعات التي يسارع إليها المخرجون اليوم. كيف تتابع هذا التوجه الذي يحكمه منطق «الدعاية» اللحظي والعابر؟

.. في سؤالك توجد إمكانية خلق مفهوم. وأنت تعرف أن التبادل المعرفي والفني لا يتحقق إلا من خلال المفاهيم العقلانية، مع كانط، أو المفاهيم الحسية التي تناولها دولوز، وهو يقرأ كتاب السينما العالمية. من هنا، نستطيع أن نخلق مفهوم «السينما الصحافية» التي تجري وراء الواقعة الراهنة، لتكون ركيزة تجارية للفرجة والتسلية. وأظن أن هذه السينما ضرورية، وهي تندرج ضمن ما تسميه أنا أرندت «الصناعة الثقافية». لكن الإبداع السينمائي شيء آخر، وهو يستدعي مسافة للتأمل والتفكير واختيار زاوية الرؤية والمقاربة، وتجنب هذا الجري السريع نحو الحدث. أظن أن طلوع الشمس أو تحريك الريح للأمواج وقائع أبدية لم تستنفدها أدوات التعبير السينمائي.

. صرنا نتغنى خلال السنوات الأخيرة بوفرة الأفلام التي ينتجها المغرب، والتي باتت تتجاوز العشرين فيلما منذ مدة. فماذا عن الكيف والماهية؟

.. هي علاقة جدلية دائمة ما بين سؤالي الكم والكيف. وجميل أن ينتج المغرب أفلاما كثيرة، وأن تتحمل الدولة، مؤقتا، مساعدة الإنتاج، وأن نكون ديمقراطيين في الفرجة، وأن نحقق لكي ذوق انتظاراته. وهذا لا يمكن من وصول بعض الأفلام إلى مستوى الفيلم الإبداعي المختلف. وما حققه حكيم بلعباس، مؤخرا، في المهرجان الوطني، من خلال فيلم «عرق الشتاء»، وهشام العسري، من خلال «ضربة فالراس»، الذي يعرض في هذا المهرجان... هذا ما يجعلني أقول، وضد كل الخطابات الهدامة، إن السينما المغربية تسير في طريق اليقين. وينبغي أن نحارب الخطاب السلبي الذي يعتمد لغة القذف والتجريح مهما كانت الظروف.

. ترأس لجنة تحكيم النقد، التي تحمل اسم الراحل مصطفى المسناوي. وكنت قد أشرفت، إلى جانبه، على صياغة ووضع عدد من النصوص المتعلقة بتنظيم القطاع السينمائي في المغرب. ما الذي حققته هذه «المدونة السينمائية»، وما الذي لم يتحقق بعد؟

.. التجربة التي خضتها أنا والمسناوي وأصدقاء آخرين في ما يخص وضع نصوص قانونية تسمح ببناء مدرسة للسينما، ودعم المهرجانات، وإصلاح القاعات السينمائية ورقمنتها، وإعادة النظر في دفاتر التحملات، هي تجربة خيبت انتظاراتنا، لأن البيروقراطية ولوبيات الفساد تصارع وتحارب كل ما هو جميل وجدي ونبيل في هذا البلد. لكن الأمل يجعلنا على ثقة دائما في أننا سننتصر.

برنـــامـــج اليــوم

قاعة أبينيدا

16.00: **أجنحة أبي**، كيفانك سيزر، تركيا، 2016، 101 د.
19.00: **قنديل البحر**، داميان أنوري، الجزائر، 2016، 40 د.
جسد غريب، رجاء عماري، تونس/ فرنسا، 92 د.
22.00: **الباب المفتوح**، مارينا سيريزسكي، إسبانيا، 2016، 84 د.

قاعة إسبانيول

15.00: **النبي**، روجي ألير، طوم مور، 2015، 90 د.
17.30: **في أحد الأيام رأيت 10.000 فيل**، أليكس كيميرا وخوان باخاريس، إسبانيا 2015، 64 د.
20.00: **حكاية سناء**، روجينا بسالي، مصر، 2016، 59 د.

قاعة المعهد الفرنسي

16.00: **الحفر**، غولدن دورماز، بلجيكا/ فرنسا، 2016، 90 د.
18.30: **الإسلام كذاكرة**، بنيديكت باكنو، فرنسا، 2016، 77 د.

المركز الثقافي «دار الثقافة»

10.00-13.00: ندوة «حينما تخترق السينما الحدود».

معهد سيرفانطيس

16.00-18.00: لقاء مع الممثلة الإسبانية آنا فرنانديث.

ساحة الفدان

20.00: **أندرومان**، عز العرب العلوي، المغرب، 2012، 97 د.

فيلم اليوم

جسد غريب، لرجاء عماري، تونس، فرنسا، 92 د.

بعد أن شاركت بفيلمها السابق «دواحة» في دورة سابقة من هذا المهرجان، تعود المخرجة التونسية رجاء عماري إلى تطوان بـ«جسد غريب». ويجسد الفيلم محور هذه الدورة من المهرجان، عن السينما والحدود، حيث تخترق بطلة الفيلم «سامية» الحدود نحو فرنسا، في هجرة سرية عقب ثورة الياسمين في تونس الخضراء، وتداعياتها المعتمة. وكانت سامية قد فرت، أيضا، من أخيها المتشدد الذي يطارد حريتها، وقد لقي مصرعه في السجن في ما بعد.

يحتفي الفيلم بالجسد، بما هو هوية حسية، هذا الجسد الذي لا يخلفه المهاجر من ورائه، وإن ترك في موطنه الأصل كل المشاهد والشواهد والأشخاص والمعالم والعوالم التي تحفظ معناه، وتجنبه «آثار النسيان»، كما هو عنوان الفيلم الوثائقي الأول لرجاء عماري، سنة 2004.

يحاول جسد سامية أن يفرض كيانه في أرض غريبة، كما يفعل ذلك من خلال الرقص على إيقاع الأغاني التونسية، مثلما يحاول هذا الجسد أن يستعيد انتماءه إلى نشيد الحرية المهدور.